وهل الإيمان إلا الحب ؟

(١٣)

حب
الكلمة الطيبة

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

طَلَبَ الشَّيخُ (مُصْطَفَى) مِن الشَّابِّ (مُهْتَدي) أَنْ يُرتِّلَ للشَّبابِ بَعضَ آياتٍ مِن سُورَةِ إبْراهِيم عَليهِ السَّلامُ، وَامتَثَل الشَّابُّ لِطَلبِ شَيْخِهِ، وَرَاحَ يَقْرأُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾

[إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧].

ثُمَّ طَلَبَ الشَّيخُ من الشَّبابِ أَن يَتَذاكَرُوا فِي

مَسْـأَلـة الكَلِمَـةِ الطَّيِّبـةِ وَفَضَـائِلِهـا وَوُجُـوبِ مَحبَّتِهَا وَتَدْرِيبِ النَّفْسِ عَليهَا.

فَمَا هِيَ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ؟

فَقَالَ الأُستَاذُ (نُورُ الهُدى):

فِي البِدَايةِ لِي كَلِمَةٌ مُوجَزةٌ ، مُلَخَّصُها: بَعدَ استِعْراضِ القُرآنِ الكَرِيمِ لِطَائِفَةٍ مِنَ الأَحَاديثِ حَولَ النَّمَاذِجِ مِمَّا فَعَلهُ الأَقْوامُ السَّابِقُون مَعَ أَنبياءِ اللهِ ، كَالحَديثِ عَن قصَّةِ نَبيِّ اللهِ مُوسَى عَليهِ السَّلامُ مَعَ قَومِهِ ، وَنَبيِّ اللهِ نُوح مَعَ قَومِهِ أَيْضَاً وَمَا إلى هُنَالِكَ.

جَاءَ الحَدِيثُ عَنِ الكَلِمَةِ الطَّيِّبةِ ، فَقِيلَ: هِيَ كَلِمَةُ الحَقِّ ، وَقِيلَ: هِيَ ذِكْرُ اللهِ ، وَقِيلَ: هِيَ العَمَلُ الصَّالحُ ، وكلُها تَدُورُ حَولَ مِحْوَرٍ وَاحِدٍ.

وَبِالتَّالِي فَالآياتُ الكَرِيمَةُ تُؤَكّد عَلى أَنَّ الكَلِمَةَ الطَّيِّبَة تُشْبهُ الشَّجَرةَ الطَّيبةَ ، وَهِيَ النَّخْلَةُ ، بَاسِقَةٌ ثَابِتَةٌ مُثْمرَةٌ ، لاَ تُزَعْزِعُها الأَعاصِيرُ ، وَلاَ تَعْصِفُ بِهَا رِيَاحُ البَاطِلِ ، وَلاَ تَقْوَى عَليهَا مَعَاوِلُ الطُّغْيَانِ.

وَإِن خُيِّلَ لِلبَعضِ أَنَّهَا مُعرَّضَةٌ لِلخَطَرِ المَاحِقِ أَحْيَاناً ، فَهِيَ تُطِلُّ عَلى الشَّرِّ والظُّلمِ مِن فَوْق ، مُثْمِرَة لا يَنْقَطِعُ ثَمَرُهَا ، لاَ صَيفَاً وَلاَ شِتَاءً ، لأَنَّ بُذورَهَا تَنْبُتُ فِي النُّفُوسِ المُتَكَاثِرَة آناً بَعدَ آنٍ.

وَبالمُقَابِلِ فَالكَلِمَةُ الخَبِيثَةُ ـ كَلِمَةُ البَاطِلِ ـ ، كَالشَّجَرةِ الخَبيثَةِ، كَالحَنْظَلِ، قَدْ تَهيْج وَتَتَعالَى، وَقَدْ يُخيَّل لِلبَعْصِ أَنَّها أَضخَمُ مِن الشَّجرةِ الطَّيِّبَةِ وَأَقوى ، ولَكِنَّها تَظلّ هشَّةً ،

وتظلُّ جُذُورُها في التّربَةِ قَرِيبَة حَتَّى لكأنَّها عَلى وَجهِ الأَرْضِ ، وَمَا هِيَ إلاَّ فَتْرة قَصِيرَة حَتَّى تُجتثَّ مِن فَوقِ الأَرْضِ! مِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا رواهُ عَبدُ اللهِ بن عُمَر رَضِيَ اللهُ عنهمَا ، قَالَ:

كُنَّا عِندَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «أَخْبِروني عَن شَجَرَةٍ تُشْبِه الرَّجلَ المُسْلِمَ ، لا يَتَحَاتّ وَرَقُهَا صَيْفَاً وَلاَ شِتَاءً ، وَتُؤْتِي أُكلَها كُلّ حِينٍ بإذنِ رَبِّهَا» فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّها النَّخْلةُ ، وَرأيتُ أَبا بَكْرٍ وَعُمَر لا يتكلَّمانِ ، فَكرِهْتُ أَن أتكلَّم.

فَلمَّا لمْ يَقُولوا شَيئاً ، قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ». فَلمَّا قُمْنَا قُلتُ لِعُمَر: يَا أَبتَاه ، وَاللهِ لَقَد كَانَ وَقعَ فِي نَفْسِي أَنَّها النَّخلةُ.

قَالَ: مَا مَنَعكَ أَن تَتَكلَّم؟

قُلتُ: لَمْ أركُم تَتَكلَّمونَ فَكَرِهتُ أَنْ أتكلَّمَ أو أَقولَ شَيئاً.

قَالَ عُمَرُ: لأَن تَكُون قُلتهَا أَحبّ إليَّ مِن كَذَا وَكَذَا.

الخَيْرُ الدَّائِمُ والشَّرُّ الزَّائِلُ!!

وَقَالَ الشَّيخُ (يَحْيَى): وَهَذَا المَثلُ يُوحِي بِأَنَّ كُلّ مَا هُوَ طَيِّبٌ ، وَخاصَّة أُمُور الخَيرِ هِيَ الَّتي تَدُومُ وَلاَ تَزُولُ أَبداً ، بَيْنَمَا الشَّرّ كُلّه إلى زَوَالٍ ، سَواءً كَانَ ذَلِكَ عَمَّا قَرِيبٍ أَو إلى أَمَد بَعيدٍ.

فالخَيْرُ الأَصِيلُ لاَ يَمُوتُ مَهْمَا زَاحَمهُ الشَّرُّ ، وَالشَّرُّ كَذَلك لاَ يَعِيشُ إلاَّ ريثَما يَسْتَهلكُ بَعضَ الخَيرِ المُتلبسِ بِهِ ، وَالنَّتيجَةُ أَنَّهُ يَتَهَالَكُ

وَيتَهشَّم مَهْمَا تَضخَّمَ واستطَالَ ، وصَدَقَ الرَّبَّانيون عِندَما أَطلقُوا هَذا شَاهِداً رائِعاً:

إنَّ الخَيرَ بِخَيرٍ ، وَإنَّ الشَّرَّ بِشَرٍّ!!

ثُمَّ تُتَابِعُ الآياتُ القُرآنيَّةُ التَّوضِيحَ أكثرَ:

فَفِي ظلِّ الشَّجرةِ الثَّابِتَةِ المُسْتَقِرَّةِ فِي الأَرْضِ، وَالتي تَمْتَدُّ فُروعُها فِي الفَضَاءِ، فِي ظِلاَلِهَا يَضرِبُ اللهُ المَثَلَ لِلكَلِمَةِ الطَّيِّبةِ.

بَينمَا فِي ظِلِّ الشَّجرةِ الخَبيثَةِ المُجْتَثَّةِ مِن فَوقِ الأَرضِ يَضرِبُ اللهُ المَثلَ لِلكَلِمَةِ الخَبِيثَةِ.

بَعدَ هَذا يَقولُ تَعالَى:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾

[إبراهيم: ٢٧].

قَالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا: هُوَ لا إلهَ إلاَّ الله ، لأنَّ هَذا الشِّعارَ يَجعلُ المُؤْمِنَ ثَابِتَ

القَدَمِ ، رَاسِخَ القَلبِ ، فَلاَ يُنافِقُ أَمَام غَنيّ ، وَلاَ يَتزلَّفُ هُنَا وَهنَاكَ ، وَذلكَ لأنَّه يعتقِد أنَّ النَّافِعَ والضَّارَّ هُوَ اللهُ تَعالَى ، والمُحْيي والمُميتَ هُو اللهُ تَعالَى ، ولَن يتحرّكَ سَاكِنٌ ، ولنْ يَسْكُنَ مُتَحَرِّكٌ إلاَّ بِيَدِ اللهِ.

حُبُّ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ

وقالَ الشَّابُّ الذَّكيُّ (حُسَين):

وَأَنَا أَفْهَمُ مِن حُبِّ الكَلِمَةِ الطَّيِّبةِ أَن نُدَرِّبَ أَلسِنَتَنَا على أَلاَّ نَقُولَ إلاَّ الحَقّ ، حَتَّى لَو كَانَ عَلى أَنْفُسِنَا ، وَذَلِكَ مِن خِلالِ أَنْ نَتصوَّرَ دَائماً أَنَّ اللِّسانَ هُوَ الذي يأْخُذُ بِيدِ الإنْسَانِ إلى الجَنَّةِ ، وهُو الذي يأْخُذُ بيدِهِ إلى النَّارِ!

وَقَدْ حَفِظْنَا فِي دُرُوسِ المَعْهَدِ ، أَنَّ شَخْصاً جَاء إلى الرَّسولِ ﷺ فَقَالَ: أَوصِني.

قَالَ: «احْفَظْ لِسَانَكَ».

فَقالَ: أَوصِني.

قَالَ: «احفَظْ لِسَانَكَ ، وَهلْ يُكِبُّ النَّاسَ على مَنَاخِرِهِم إلاَّ حَصَائِدُ ألسِنَتِهِمْ».

معنَى ذَلِكَ: أَن نُعوِّدَ أَلسِنَتَنَا عَلى الكَلاَمِ الحَسنِ الطَّيِّبِ ، وَذلكَ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ علينَا ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَولُه تَعالَى:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

بَلْ وَينقلُنا القُرآنُ إلى مَشْهَدٍ من مَشَاهِدِ يَومِ القِيَامَةِ ، حَيثُ تَنْكَشِفُ الحَقِيقَةُ وَتنفَضِحُ الحِكَايةُ ، وعِندَئذٍ يَرى كُلّ إنسانٍ أَمامَهُ مَا قدَّم من عَمَلٍ ، قَالَ تَعالَى فِي مَعرِضِ الحِكَايةِ:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ

وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَبِالمُقَابِلِ فَقَدْ حَذَّرنَا القُرآنُ الكَرِيمُ مِن انْحِرافَاتِ اللِّسَانِ إلى الكَلامِ البَذِيءِ أَو الكَلامِ الذي لا فَائِدَةَ مِنْهُ ، أَو الكَلامِ الذيَ لاَ يَليقُ بالإنْسَانِ ، وَحدَّدَ القُرآنُ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحمنِ ، وَمِنهَا:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾

[المؤمنون: ١ ـ ٣].

فَالمُؤْمِنُ لاَ يَشْتم وَلاَ يَطْعَن وَلاَ يَسُبّ ، لأنَّهُ مُلْزمٌ بِتَعاليمِ الأمُورِ الشَّرعيَّةِ ، مِثل قولهِ تَعالَى:

﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٨].

الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ سُلوكٌ مَعَ الجَمِيعِ!!

وَأَحَبَّ الأُستاذُ (زَينُ العَابِدين) المُشَاركةَ بِهَذا الحَدِيثِ الرَّائعِ ، فَقالَ: وَمنهَجُ الكَلامِ الطَّيِّبِ لاَ يَقتَصِر عَلى المُسْلِمين فَقَطْ ، بَل عَلى الجَمِيعِ.. وَمَعَ الجَمِيعِ ، وَقَدْ رَسَمَ البَيانُ الإلهيُّ بَعضَ النَّماذِجِ ، مثالُ ذَلِكَ:

فَالمُؤْمِنُ مُطَالَبٌ بِالقَولِ الطَّيِّبِ مَعَ الوَالِدَينِ وَذَلِكَ لِعَظِيمِ شَأْنِهمَا وَرَفِيعِ مَكَانَتهمَا ، قَالَ تَعالَى:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ

﴿أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

[الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وَالمُؤْمِنُ مُطالبٌ بِالقَولِ الحَسَنِ والطيِّبِ مَعَ اليَتَامَى ، وَذلكَ لأنَّهم ضِعَافٌ يُنظرُ إليهِم نظرَةً دُونيَّةً ، فَقَالَ تَعالَى وَهُوَ يُصحِّحُ ذَلكَ:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

وَالمُؤْمِنُ مُطَالَبٌ بِالقَولِ الطَّيِّبِ مَعَ السَّائِلينَ أَيضاً ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

حَتَّى مَعَ الآخرِينَ ، الذي يَعْتَقِدُونَ بِأُمورٍ لاَ تُوافِقُ الشَّريعةَ الإسلاميَّةَ ، هَؤُلاءِ يَجِبُ أَن

يكونَ الكَلامُ مَعهم بِأُسلوبٍ حَسَنٍ وقولٍ طَيِّبٍ ، مِصْداقُ ذَلِكَ قَولُه تَعالَى:

﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾

[العنكبوت: ٤٦].

الفَرْقُ الكَبيرُ!!

وَقَالَ الطَّالبُ اللاَّمِعُ (مُعْتَزٌّ):

وَالقُرآنُ الكَرِيمُ أكَّد عَلى أَنَّ هناكَ فَرْقاً كَبيراً بَينَ التَّعامُلِ بالطَّيِّبِ وَبالحُسْنَى وَبينَ التَّعامُلِ بِالقَسْوَةِ وَالخُبْثِ ، قَالَ اللهُ تَعالَى:

﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

وَهَذَا المَنهَجُ يَجِبُ أَن يَكونَ مَعَ النَّاسِ جَمِيعاً ، لاَ مَعَ المُسْلِمينَ فَقَطْ ، مِصْداق ذَلِكَ تَوْجِيهَاتُ اللهِ فِي القُرآنِ:

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وَتَوجِيهَاتُ المُصْطَفى ﷺ: «ليسَ الإحْسَانُ أَن تُحْسِن إلى مَن أحسَن إليكَ ، فَتِلكَ مُكَافَأة ، وَإنَّمَا الإحْسَانُ أن تُحسنَ إلى من أَساءَ إليكَ».

وَقولهُ أَيضاً: «اتَّقِ اللهَ حَيثمَا كُنْتَ ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنة تَمْحُهَا ، وخَالِقَ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وَقَوله عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «لا يَسْتَقِيمُ

إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلبهُ ، وَلاَ يَسْتَقِيم قَلبهُ حَتَّى يَسْتَقِيم لسانُهُ».

وَقولهُ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلوْ بِشقِّ تَمْرَةٍ ، فَإنْ لَمْ يَكنْ فَبِكَلِمةٍ طَيِّبةٍ».

وَقولهُ أَيضاً: «منْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَليَقُلْ خَيْراً أَو لِيصْمتْ».

نَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أَن يُخلِّقنَا بِأَخْلاَقِ عِبَادِ الرَّحْمنِ الذينَ وَصَفَهُم بِقَوْلِهِ:

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِين